

" أَرَدَيْتُ عَلَيَّ سَيْثًا - تَقُولُ الْمَرَأَةُ

وَدَخَلْتُ الرَّوْضَةَ -

تَعْنِي قَبْرَ الشَّيْخِ مُحِبِّي الدِّينِ -

نَاثَانَائِيلُ كَانَ جَنْبِي

يَرَى مُبْهَوْرًا كَطَائِرٍ يَأْخُذُ أَوَّلَ الْهَوَاءِ

بِهَجَاً بِنِعْمَةِ الرَّيْشِ

صَمْتُ وَكُنْتُ أَرْتَقِبُ الْهَيْبَةَ؛

أَنْ يَصِيرَ الصَّمْتُ لَوْلَاةً

أُطْبِقُ كَفِّي عَلَى ضَوْئِهَا

وَأَعْرِفُ أَنِّي أَمَامَ الْبَابِ

الَّذِي هُوَ الْبَابُ..

وَلَا بَزْرَخَ يَفْصِلُهُ عَنِ التِّي تَصِلُ... "

تُخَكِّي وَكُنْتُ أَحْتُهَا

عَلَى أَنْ تَبْقَى هُنَاكَ فِي دِمَشْقِ

وَتَعُودَ إِلَيَّ فِي صَوْتِهَا

كَأَنَّهَا تُنْبِرِي فِي ضَبَابِ

وَتَلَوِّحَ لِي أَعْلَى التَّلِّ بِالْقَنْدِيلِ

عَيْنَاهَا أَبْعَدُ مِمَّا تَرَى عَيْنَانِ

وَكُفُّهَا تَتَخَلَّلُ شَعْرَهَا

نَمَشِي مَعًا

كَأَنَّهَا أَخَذَتْ يَدِي إِلَى حَدِيقَةٍ لِأَرَى

وَكَانَ لِي أَنْ أَلْجِمَ الْيَأْسَ

بِصَوْتِ امْرَأَةٍ تَصَفُّ الضَّوْءَ

خَطَايَ تَنْشَأُ مِنْ خُطَايِ

حَيَوَانُ قَلْبِي الَّذِي كَانَ مِنْ قَبْلُ يَجْمَحُ بِي

وَيَقْتَحِمُ الدَّغْلَ الَّذِي يَجْذِبُهُ

يتبعني وتلمسني جبهته  
حوافره خفيفة على الطريق  
"..الرائحة التي شممتها حينئذ  
ليست من الأرض  
شيء يشيع ولا اسم له،  
يتنزل عليك من ذاته  
وتعرف أنه هناك؛  
لباس من لا نهاية وصحو  
تكون السكينة يداً لطيفة على كتفك  
ترى كأنك تحلم  
والعالم يتشأ في نظرتك  
وأنت تُشرف من ذروة هي أنت  
ولك أن تقول: " رضيت عما يجيء  
لأنني هنا  
والرضا سعة خضراء وارفة  
تحركها يدي  
أروخ بها على الذي ينام؛  
خوفي من أن أرى العالم  
رجلاً أعمى يلاقي المارة  
ويحضنهم بيدين قويتين  
ثم يرتد إلى خندقه  
ويتمرغ بلباسه في الطين. "  
تتكور الحياة كلها في دمة سعيدة  
تقدر أن تبدلها حبة لامعة  
أو تحبسها لتتقوى بها  
وتقدر أن تقول:  
" غفرت للشمس أن يكون لي ظلُّ

وللأرض التي ليست سوى متاه  
أن يتلهى النهار والليل فيها  
بملاء جيوب الناس بالنوى الفاسد  
أو بالحجارة  
وغفرتُ لي أن يُقيمَ العالم في خندقه. " "

طريقٌ له حاشية يسقفها التوت  
ويُرسِلُ فيها الشجر الغريب أول الأزهار  
هنا، حيث يلعب الصيف جمرته  
قبل أن تصلا طريق الجكرندا  
وتصعدا إلى ورشة الصديق  
". لغز؟ - تسأل المرأة -  
أم مغطيسٌ يشملُ الذي يَعْقِدُ يديه  
أو يتربّع هادئاً  
لتسند عزلته رأسها إلى فخذها،  
لدى القبر البسيط  
هناك حيث ما زال الذي كَلَّمَ الضوء  
يشهدُ أنه لم يطلبَ جهةً  
سوى التي يُصَوِّبها الضوء  
ونُفُضي إلى الباب الحيّ  
الذي يتلقَّاه أمنا  
ويسميه جهةً إلى الباب. "  
أرخيئُ لجام الحيوان  
وقلتُ للتي شاءتني أخا في ما رأت  
وفي اللؤلؤة التي صنمت كَفَّها على أبد:  
" أجل، إنه هو  
ألا إنَّه الروح. "